يوماً واحداً فحسب

مترجمة عن التركية
بقلم الأديب عبد اللطيف خيمد

كان الوفاق التام سائداً بين « مرمد بك » وبين زوجه السيدة « ناهد » ؛ وكانت حياتهما صفواً كلها إذا استثنينا أمراً واحداً كان لا يروق السيد فى زوجه العزيزة طالما حدثته نفسه باعتراضها فيه وبحملها على الكف عنه ، ألا وهو الكذب !! إذ أن السيدة ناهد كانت ككثير من بنات جنسها لا ترى بدًّا من تجسيم الحقائق وتوشيتها كما يشاء خيالها، وإذا ما أنصفناها أمكننا القول بأنها لم تكن مغرقة فيه ، بل كانت طبيعتها تجنح بها إلى القليل منه ، ونعنى أن كذبها لم يكن منطوياً على مضرة ؛ أما زوجها فقد كان على العكس منها لا يرضى فى أمر من أموره أن يتخلله نصيب من هذا الخيال . فهو يسره جد السرور أن تسرد الوقائع وتذكر الأشياء كما هى ، ولكن هذا لم يكن ليحمله يوماً على تعنيف زوجه ، بل كان يكتفى — إذا ضاق به صدره — أن يقول لها :

— ناهد ، أرجو ألا تكذبى وأنت عالمة مقدار بغضى لهذه الطريقة الكريهة عندى

فتأخذ ناهد فى الدفاع عن نفسها حينئذ فى لهجة محتدمة ، غير أن الطبيعة الغلابة تسلك بها سبيل الكذب فتنظم أفانين منه مثبتة أنها ليست بكاذبة ، فيعجب زوجها ويجن جنونه صائحاً :

ها هو ذا !! ما زلت تكذبين . ومن العجب أنك تبرئين نفسك من الكذب باسترسالك فيه

— ماذا مما قلته كذب ؟ !

— هل نسيت يا عزيزتى أنك كنت قصصت على حادثة الخاتم الضائع قبل الآن بجردة عن هذا التزويق المسرحى ؟

وهنا تتخاذل ناهد قليلاً وتجاوب زوجها فى إخلاص :

— أقسم لك أن الحادثة كما قصصتها عليك ، وإن كنت حين سردتها مرة أخرى قد اختلفت شيئاً يسيراً فذاك مالا أرى منه بداً . وهل يستطاع سرد حادثة دون تحويرها ؟

— نعم يستطاع

— وهل يمكن التحدث بحديث دون أن يتخلله كذب مطلقاً ؟

— نعم يمكن

— لا يمكن

— إنه ممكن من غير شك

وكذلك يتجمع الخلاف بين هذين الزوجين ويدور الجدل حول هذا المحور وحده ، فينكر كل منهما على صاحبه رأيه كلما بدرت بادرة . وبينما هما فى نقاشهما — ذات يوم — اقترحت السيدة ناهد على زوجها المحتدم فى إثبات رأيه هذا الاقتراح :

— إنى أتعهد لك بأنى لن أكذب بعد اليوم ، ولكن وفائى بهذا العهد مرتبط بقبولك لما أشترطه عليك ، وذلك أن تأخذ على نفسك ألا تكذب يوماً واحداً مهما تكن الظروف

— أجل ، لك ما اشترطت

— على ألا تكذب فيه ولو اقتضته منك المجاملة وتطلبه الأدب ، وألحت به عليك الدواعى القاسرة

ترجمت هذه الأقصوصة عن الكاتب التركى ارجند أكرم

— لك ما شئت

— وألا تحاول تحوير الحديث ، ولا الطفرة من موضوع إلى ما لا علاقة به ، وألا تتنصل بالسكوت حين يجب الجواب عما تسأل عنه

— ليكن لك ما أردت

— ولا تكذبن فى ذلك اليوم صادقاً لى فحسب بل للناس جميعاً ! !

— سأكون كذلك

— حسن جداً ، وإذن سأعرض أنا عن الكذب ! وأكبح نفسى عن الأخذ به مهما تكن الحال ، واقتضت الظروف . غير أنى أطلب منك أن تخولنى حق تعيين هذا اليوم وسيكون فى أسبوعنا هذا إن شاء الله !

أدت بسرمد بك عزمته أن يقبل كل اقتراحات زوجته غافلا عن تدبر منبتها وتبين حقيقتها ، وراح يقسم بضميره ويحلف بشرفه أن سيبر بوعده ويوفى بعهده ، غير أنه لم يمض يومان على أثر ذلك حتى نسى الرجل حديثه مع زوجه وفرغت ذاكرته من كل ما دار بينهما

غربت شمس يوم الثلاثاء وأقبل مساء اليوم التالى يحمل لسرمد بك ثمن غفلته ، ولم يكن المسكين يدرى أن اليوم الموعود هو يوم الأربعاء ذو التاريخ القديم .

فى مساء ذلك اليوم كان « نرمى بك » أحد أصدقائه الأقربين قد دعاه إلى طعام العشاء ؛ وكان نرمى بك تاجر تبغ قد أحب فتاة تدعى « شكوفة » تشتغل عنده فى محل تجارته على الآلة الكاتبة ، ولم يلبث حتى اتخذ لنفسه منها خليلة ، وما كان إلا أن نما الحب بينهما واشتد حتى أثمر رأياً جديداً فى نفس نرمى بك وهو أن يتخذ شكوفة زوجاً له

راقت له هذه الفكرة وأخذ الحب يزداد بين الحبيبين حتى زالت الكلفة وامحت دواعى التكلف وبانت نفس شكوفة وانكشفت عما كانت تنطوى عليه من نقص فى التربية وقلة فى الذوق ، وبدا منها ما يتنافى مع أصول العشرة ، وتضاءل أمامه رأيه فى الزواج بشكوفة ولم يعد فى نفسه شىء من ذلك .

وكان من جراء ما استقر عليه فكره أخيراً أن تجافيا ثم افترقا . انقضت أيام وقد ضرب الهجر بينهما حجابه وأخذ يثقل كاهل الفتاة حتى نأت به وضعفت عن احتماله بما أصابها من الضجر وذاقت من المرارة ، فرجعت إلى خليلها مستسلمة خاضعة غير مشترطة عليه شرطاً ولا متخذة عنده عهداً . وكانت هذه المصالحة سبباً فى إقامة المأدبة التى دعى اليها سرمد بك إذ كان على علم بتفاصيل روابطها . ولذا كان نرمى بك شديد الإلحاح فى دعوته لسرمد إذ قال له :

— أناشدك الله أن تجيء واذكر أن شكوفة تطلب حضورك حتما وقد أخبرتنى أنها ربما لاتحضر بمفردها .

— من سيكون هنالك إذاً ؟ ؟

— قد ذكرت أن لها صديقة بهية الطلعة رائعة الجمال ستجيء بها إن هى تمكنت من إقناعها . وكان سرمد بك قد استشعر غمزاً فى كلام صاحبه فلم يجد بداً من معارضته بقوله :

— ياعزيزى إنكما ستتحابان وتمرحان فى صفو هواكما ولا أحب فى وجودى معكما تمكيرا لهذا الصفو. فأجابه نرمين بك فى مزاح يشوبه بعض الجد :

— أرجو ألا تكلف نفسك مشقة المداورة وأن تعفيها من هذه المعالجة فان شكوفة قد حدثتنى بكل شيء وأنك — قبل الذى كان بيني وبينها — كنت تغازلها وتطير حولها كالفراش — ومن يدرى لعل الهوى قد جمح بك فى هذا المضمار أكثر مما علمت .

— لقد أشفقت أن يجمح بى الهوى فجمح بك الظن إلى حد القمة ، وكان الأولى أن تسمو بحديثك وظنك عن الاسفاف يانرمين .

— إن أقصى ما كان بينى وبينها أننى قبلتها وربت على خدها أوعبثت بشعرها . كان سرمد بك — بدواعى أعماله — يتأخر أحيانا عند العودة مساء إلى بيته ، وكانت زوجه قد ألفت منه هذه الحال منذ سنين فلا تجد نفسها فى حاجة إلى سؤاله عن السبب ، ولا يجد هو داعيا لتعليل تأخره ؛ غير أنه كان يكتفى باخبارها قبل هذا لئلا تنتظره فى طعام العشاء . وكذلك أخبرها قبل يوم الأربعاء بعزمه على التأخر قليلا فى مسائه . وفى صباح هذا اليوم على إثر شربه الشاى نهض ولبس ثيابه ، وما كاد يتناول عصاه وقبعته حتى وقفت له السيدة ناهد بالباب تقول :

— أريد منك اليوم أن تبر بوعدك الذى وعدتنى به .

فلم يفهم — لهذه المفاجأة — ماتريد، ولذا سألها :

— وما هو هذا الوعد ؟

— وعدك الذي قطعته على نفسك ألا تكذب قط في يوم قد خولتنى حق تعيينه

فأجابها وقد اعتراه شيء من الارتباك :

— أجل ، سأفعل

— ستتأخر الليلة قليلا . أليس كذلك ؟

— بلى

— هل ذلك لأن لك فى المكتب من الأعمال ما يشغلك ويحول بينك وبين المبادرة ؟

ابتلع ريقه ثم قال :

— لا ، بل لأن نرمين دعانى للعشاء

— هل ستتعشيان أنتما الاثنان فحسب ؟

ابتلع ريقه مرة أخرى وكأنه مقبل على مورد الموت الأحمر

— ستكون شكوفة أيضاً معنا

وكانت السيدة ناهد تعرف شيئاً من علاقة شكوفة بنرمين لأن زوجها كان أنبأها بخبرها ، إلا أنه غير لها الأمر وصور تلك العلاقة فى صورة مشروعة وأن نرمين يرغب فى الزواج من شكوفة . ثم لم يلبث أن أخبرها بعدول نرمين عن الزواج بها بعد أن شاهد فيها من الطيش والنزق ما جعله يزهد فيها ويرغب عنها

— وهل اصطلحا ؟

— نعم

وكان يحدق فى الباب عساه يصادف فيه فرجة يستطيع أن يتسلل منها .

— رويدك لا تستعجل . فان أسئلتى لم تنته هل شكوفة هذه كانت خطيبة لنرى ؟

— لا ...

— فاذا كانت له إذن ؟

وهنا ثارت ثائرة سرمد :

— إعلمى أنه ليس لنا أن نسبر أسرار الناس ولا سيما إذا كانت من هذا النوع الذى تغوصين فيه

— لا تنس أنك وعدتنى وعدَ وفىّ بأنك لا تكذب مهما تكن الظروف أو تقض المجاملة والأدب أو تلح عليك الدواعى ، وأنك إذا ما سئلت عن أمر لا تخفى ماتعلمه عنه ، وأنك لا تحاول تحوير الحديث أو الطفرة فيه أو الانتقال منه أو التنصل بالسكوت حين يجب الجواب عما تسأل عنه . واذكر أنك أقسمت بضميرك وشرفك على الوفاء بكل هذا ، فأنت اليوم رهينة الوعد فلا حول لك ولا قوة .

وهنا شعر سرمد بك بعمق الهوة التى هبط إليها وأسقط فى يده فراعته نكبته ، وباعدت مابينه وبين اطمئنانه محنته .

— هلا قلت ماذا كانت له إذن ؟

— كانت خليلته !

— من ذا الذى أغراها حتى زلت قدمها ؟

— أف ! دعينى أذهب .

— إذا كان يرضيك أن تذهب وأنت مسلوب الضمير موسوم بعدم الشرف فاذهب ...

— حذار ياناهد ...

— ألم تكن لك بهذه البنت علاقة ؟

— كان هناك شىء قليل فى الأيام الخالية ! وبعد ما أخذ ثري يتحبب إليها كففت عنها ولم يعد الآن بينى وبينها علاقة ما .

— إلى أى مدى بلغت رابطتكما ؟

— أناشدك الله أن تكفى لأن ذلك يؤخرنى عن عملى .

— بربك قل الحق . هل أنت ترتبك لأنك قد تتأخر عن عملك ؟

— لا ، بل لأن أسئلتك تضجرنى !

— إذن ، قل لى وحدثني حتى تنتهى إلى أى مدى بلغت معها ؟

ثنى جيده وقد تعبت نفسه واستولى عليه الملل ولكنه استمسك وقال :

— كنت أعبث بشعرها وأعانقها وأقبلها ، هذا كل ما هنالك .

وكان حينئذ قد وضع قبعته على رأسه ومد يده إلى مزلاج الباب ولم يكد يجره حتى تبضت زوجه على معصمه ، وراحتاها تلتهبان كالنار وأظافرها المرهفة تكاد تخترق عروقه وهى تقول :

— لى سؤال أيضا . هل تجىء هنالك امرأة أخرى عدا شكوفة هذا المساء

— لا أعلم . ولكن على ما قيل لى ربما تجىء !

— ولمن تجىء هذه ؟

— لا علم لى بهذا . وربما كانت من أجلى ولكن أقسم لك أن ...

— لا أرى ضرورة لليمين إذ قد سبق وأقسمت . على أني مؤمنة بكل ما تقول لعلمي أنك رجل أخو ضمير وذو شرف !

— والآن من يعلم ماذا يساورك من الظنون ؟ إن هذه الأمور مع كونها عادية قد أحدثت فيك من الانفعال مالا أستطيع تكييفه ...

قاطعته زوجه قائلة :

— حسبك ! .. حسبك ! .. لقد بلغت غاية تستطيع معها أن تذهب !

خرج سرمد بك وكان مثله حينئذ كمثل من نجا من تنكيل محاكم الارهاب فى القرون الوسطى وقد وصل إلى الشارع وهو لا يدرى ماذا كان يريد أن يعمل ، ثم بدا له أن يركب الترام . ولم يكد يقف لانتظاره حتى تأبط ذراعه أحد أصدقائه القدماء يسأله :

— كيف أنت ياعزيزى سرمد ؟

— لست طيباً !!

— لا بأس عليك ؟ ! هل أنت مريض ؟؟

— لا ...

— إذن ، ماذا بك ؟

— تملكنى الهواجس

— وهل هذا من شئون الأسرة ؟

— نعم ، ولكن أرجوك ألا تسألنى سؤالا آخر وأن تتركنى أذهب لشأنى

— أستودعك الله

ترك صاحبه ، وصاحبه ينظر إليه من خلفه وقد تملكه العجب وهو يسائل نفسه :

— ما باله قد تغيرت أخلاقه وتنكرت حاله !! إنه قد أصبح وقحاً !! وأيما وقاحة !!

لم يكد سرمد بك ينزل من الترام حتى واجهه خاله المحرم ، وقد فاض قلب الشيخ شوقاً إلى ابن أخته فتلقاه بحنان عظيم وأخذ يسأله فى لهف :

— أهذا أنت يا سرمد ؟؟ كيف حالك يا بنى ؟ لماذا لم تجيئوا لزيارتنا ؟؟

— لا أعلم !! وها أنت ذا ترى أننا لم نجئ !!

— وهل هناك مايحول بينك وبين هذا يا بنى ؟

— لا

دهش الشيخ :

— أتقول لا ؟ كيف ؟! كأنه لم يستفزك الشوق إلى رؤية خالك أيضاً ؟؟

رفع سرمد حاجبه وهو يقول :

— لم يستفزنى الشوق !

بهت الرجل وقال « وهو يصرخ من فرط غضبه » :

— ياوقح . ياعديم الأدب . ألم تستح حين تقول هذا الكلام الرذل الثقيل مواجهاً به خالك الشيخ ؟

وكان الرجل آنئذ ينبش الأرض بعصاه وهو يبتعد غاضباً مرتعشاً

جرى سرمد فى طلب خاله وهو يحاول الاستغفار عما بدر منه بقوله :

— لاتؤاخذنى ياخالى ، لقد حملنى على ما رأيت أننى أقسمت ألا أقول إلا صدقا !

فوقع هذا الكلام من نفس الرجل موقع الحطب من النار وكان فى نظره على حد المثل القائل : «عذر أقبح من ذنب»

ولما لم يكد سرمد يتم اعتذاره حتى دار الرجل بنظره حوله وهو يشير إليه :

أنظروا إلي عديم الأدب. هذا مازال يؤكد لى وقاحته ويزعم أنه كان يصدق فى حديثه.. لانقرع بعد هذا اليوم بابى ولا أريد منك أن تحضر جنازتى

ومضى الشيخ لا يلوى على شئ

وصل سرمد إلى مكتبه وقد مسه نصب ناء باحتماله فأرهقه إرهاقاً ولم يكد يتنفس الصعداء حتى سمع دق التليفون

— ألو ... ألو ...

— سرمد بك ؟؟

— نعم . فمن أنت ؟؟

— أنا (ناجى) بحثت عنكم بضع مرات فلم أجدكم . اسمع ... لى عندكم رجاء خاص

— تفضل وقل

— هل لديكم خمسون جنيهاً ؟؟

— عندى

— وهل بكم حاجة إلى هـذا المبلغ مدة يومين أو ثلاثة أيام ؟

— لا

— شكراً . إننى سأعيده على أثر اليوم الثالث أظن أنك تقرضنى خمسين جنيهاً ؟ أليس كذلك ؟

— كلا ، أبداً !!

— لـماذا ؟ ! (وكان هذا الاستفهام بصوت يشبه الصراخ)

— إننى لست مطمئناً إلى أنك تعيد هذا المبلغ

أجابه صاحبه بصوت أشد من سابقه وقد غلبه الغضب وتملكه السخط :

— ياعزيزى ، إنك تستطيع ألا تقرضنى ولك ذلك ، ولكن ليس لك أن تعتدي على كرامتى وتهينني على غرار ما يفعل السفلة ومن لاخلاق لهم

— معذرة . إننى أخذت اليوم على نفسى ألا أكذب فلذلك ...

أقفل التليفون وبعد قليل دخل الكاتب على سرمد بك فى حجرته قائلا :

— جاء المتعهد ياسيدى البك فهل تأذن لى أن أماطله ؟

— كيف ؟

— أقول له إنكم ذهبتم إلى أنقرة .

— لا يجوز اليوم أن تكذب .

— إذن يجب أن يعطى مبلغه المطلوب فى حين أنا لم نملك منه شيئا

— قل له ليس عندنا اليوم من النقد ما نستطيع معه تسديد ما علينا .

— مهلا ياسيدى البك ، ماذا تقول ؟ إن هذا يرج مركزنا رجا ويحدث فى السوق المالى تأثيرا سيئا

— ما الحيلة إذن ؟ إننا لا نستطيع اليوم أن نكذب

لم يكد الكاتب يخطو للخروج وهو يفكر فيما أصاب البك اليوم حتى ناداه من ورائه ثم قال له :

— إستمع إلى ... إن أعصابى اليوم متوترة جدا ولهذا أرانى شديد الحاجة إلى تهدئة النفس وتسكينها . فمن جاء يسأل عنى فقل له : إنى لست هنا .

— أمرك يا بك ! ...

— انتظر لا يناسب أن نقول ليس هنا خوف أن أكون كاذبا ، قل له إنه لا يقابل أحداً

ولكنه استشعر خشونة هذا القول لأنه ليس من اللائق أن يجيب زائره بهذا الجواب ، فسأل الكاتب وقد ملكه الاضطراب واستولى عليه اليأس:

— ماذا يجب عمله الآن ؟ إن . . . جزاها الله شر الجزاء

ألقى الأوراق التى بيديه على الأرض وهو خارج وقد خطف بإحداها قبعته وبالأخرى عصاه ، ولم يلبث أن طفر من الغرفة إلى الخارج

كان المساء ، وإذا مر مدبك يتمتم بصوت خافت مضمضع وهو جاث على ركبتيه مطرق الرأس أمام زوجه يقول :

— أى زوجتى العزيزة ، لقد بان لى بجلاء لايقبل الشك أن الحق كان بجانبك وأنه يتعذر كل التعذر بل يستحيل على الانسان أن يتم أمراً خطيراً كان أو حقيراً دون أن يشوبه الكذب . لا الصداقة ، ولا مصالح الأسرة ، حتى ولا العشرة ولا التجارة ، يمكن الانسان أن ينجح فيها دون أن يفتقر إلى الكذب ! !

هأنذا أعدك ألا أعترض عليك فيما أنت منه بسبيل ، وأسألك أن تصفحى عنى ، ومع ما تعلمين مما طبعت عليه من حب الصدق فلك منى أن تضعى عن نفسك ذلك القيد وتكذبى ماشئت أن تكذبى !

عبد اللطيف أحمد

مؤلفات
الأستاذ محمد كامل حجاج

ص

٤٠ بلاغة العرب جزءان (مختارات من صفوة الأدب الفرنسى والانكليزى والألمانى والايطالى مع تراجم الشعراء والكتاب)

٢٠ خواطر الخيال وإملاء الوجدان (متفرقات فى الأدب والنقد والفلسفة والموسيقى والحيوان وبه روايتان تمثيليتان)

١٨ نباتات الزينة العشبية (محلى باحدى وتسعين صورة فنية)

١٥ Les Plantes Herbacées (محلى بنفس الصور السابقة)

الكتاب الأول والثانى فى جميع المكاتب الشهيرة
وكتب الزراعة تطلب من
شركة البزور المصرية بميدان ابراهيم باشا